المبحث التاسع

الاثنا عشر والمهدى المنتظر لدى الشيعة والسُّنة

● تمهيد

يقول الاثنا عشرية إن أصول مذهبهم ضاربة بجذورها فى كتب هارون وإملاء موسى عليهما السلام !

فقد سأل شاب يهودى علي بن أبى طالب عن عدد الأئمة بعد محمد فقال: « يا هارونى ، إن لمحمد صلى الله عليه وسلم وآله من الخلفاء اثنا عشر إماماً عادلاً ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا يستوحشون لخلاف من خالفهم ، وأنهم أرسخ فى الدين من الجبال الرواسى فى الأرض . ويسكن محمد صلى الله عليه وسلم وآله فى جنته مع أولئك الاثنا عشر إماماً العدل »

قال الشاب اليهودى : صدقت ! والله الذى لا إله إلا هو إنى لأجدها فى كتب أبى هارون ، كتبه بيده ، وإملاء موسى ـ عمى »

ثم سأل اليهودى علياً عن وصي محمد فأخبره بما سيكون له ـ وعلي هو الوصى نفسه ـ من القتل . فأسلم اليهودى ونطق بالشهادتين . (١)

والكاتب الشيعى يعتقد أن هذا الخبر يؤكد صحة المذهب الاثنا عشرى ، لكننى لا أشاطره اعتقاده لأن الخبر يناقض بدهيات العقل ، فأين موسى وهارون عليهما السلام من مذهب نشأ بعد وفاتهما بمئات السنين ؟ وأين ذلك الشاب اليهودى من علي بن أبى طالب ؟ وهل يقسم اليهودى بقوله « والله الذى لا إله إلا هو » ؟ وأين الوثيقة التى أملاها موسى على هارون ؟! لماذا لم يبرزها اليهودى كدليل على صدقه ؟ ولماذا لم يطلبها « علي » منه ؟!

---

(١) آية الله العظمى الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٥ ص ١٢

● أسماء الأئمة الاثنا عشر

وفيما يلى أسماء الأئمة الاثنا عشر :

١- علي بن أبى طالب (المرتَضَى) (توفى سنة ٤٠ هـ)

٢- الحسن بن علي (المجتَبَى)

٣- الحسين بن علي (الشهيد)

٤- على بن الحسين ، زين العابدين (السَّجاد)

٥- محمد الباقر (٥٧-١١٩هـ)

٦- جعفرالصادق (٨٠-١٤٨هـ)

٧- موسى بن جعفر، الكاظم (١٤٨-١٨٣هـ)

٨- على الرضا (١٥٣-٢٠٣هـ)

٩- محمد الجواد (التقى)

١٠- علي الهادى (النقى)

١١- الحسن العسكرى (الزكى)

١٢- محمد بن الحسن العسكرى ؛ الحجة ؛ القائم المنتظر . (١)

وقد اختلف الشيعة حول الإمام الثانى عشر، المهدى المنتظر، وهل مات أم لا . وقال الشهرستانى إن بين « الإخبارية » منهم - وهم الرافضون للاجتهاد - وبين « الكلامية » - المجتهدين - سيف وتكفير ، أى انهم اقتتلوا وكفر بعضهم بعضاً . (٢)

وذكر الشهرستانى :« أن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسموا « قطعية » ، ساقوا الإمامة بعده فى أولاده ، فقالوا : « الإمام بعد موسى الكاظم ولده علي الرضا ، ومشهده بطوس ؛ ثم بعده محمد التقى الجواد أيضاً ، وهو فى مقابر قريش ببغداد . ثم بعده علي بن محمد النقى ، ومشهده بقم . وبعده الحسن العسكرى الزكى . وبعده ابنه محمد القائم المنتظر ، الذى هو بسر من رأى ، وهو الثانى عشر . هذا هو طريق الاثنا عشرية فى زماننا »(٣)

وأحب أن أذكر القارئ بأننا معشر أهل السُّنة نؤمن بأن هؤلاء الأئمة هم أئمتنا ، باستثناء الثانى عشر الذى اختفى وهو طفل ، ولكننا لا نغلوا فى تقديرهم

(١) الشهرستانى ؛ الملل والنحل ؛ جـ١ ص١٧٣ (٢) نفسه ؛ص١٧٢

(٣) الشهرستانى ؛ نفسه ١٦٩

غير الحق ، كما لا نغلوا فى تقدير أبى بكر وعمر وعثمان وأبى عبيدة وسائر الصحابة ، وأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل ، والتابعين وتابعى التابعين بإحسان إلى يوم الدين .

● الإمام الثانى : الحسن بن على

وأول ما نلاحظه فى تاريخ هذا الإمام رضى الله عنه أن أباه علي بن أبى طالب رفض أن يعهد إليه . فقد سأله جندب بن عبد الله ـ وهو على فراش الموت ـ فقال :« يا أمير المؤمنين : إن متَّ نبايع الحسن ؟ فقال : لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر »[1] كأنه يوصى بالشورى !

وقد أوصى علي رضى الله عنه بالعبادات والطاعات والعقائد والمعاملات ، لكنه لم يذكر شيئاً عن الإمامة والعهد وواجب وراثة بنيه لها بتسلسل معين ، ولم يعهد للحسن ولا لغيره ، وهذا يقوى خبر جندب بن عبد الله .

وبايع أهل العراق الحسن سنة ٤٠ هـ بُعَيْد وفاة أبيه، وقيل إن أول من بايعه قيس ابن سعد . وكانت مدة خلافته قصيرة ، إذْ تَنازل عنها لمعاوية بن أبى سفيان .[2]

ـ وقتل الحسن رضى الله عنه بالسم الذى دسته له امرأته فى طعامه بغواية معاوية بن أبى سفيان .[3]

● انقسام أتباع الحسن

وتتضارب الأخبار حول مواقف الناس فى العراق من التصدى لمعاوية استمراراً لسياسة أمير المؤمنين على بن أبى طالب . فيذكر أن أربعين ألفًا من العراقيين بايعوا الحسن على الموت ، وكانوا أطوع للحسن وأحب له »[4] لكن أخباراً أخرى تقول إن الحسن نظر فى حال أنصاره فوجدهم متخاذلين مما أثار عدي ابن حاتم فأخذ يؤنبهم بعنف . ولما ركب الحسن إلى معسكره تخلف عنه كثيرون ، فما وفُّوا بما قالوه وبما وعدوه ، وغروه كما غروا أمير المؤمنين ـ رضى الله عنه ـ من قبله » وبالرشوة استطاع معاوية اجتذاب قائدين من رجال الحسن ، هما الكندى

---

(١) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ جـ٧ص٣١٠

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ٤٠ ، ٤١ ـ ج ٥ص١٥٨ـ ١٦٥

(٣) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٥ص ٣٢٦ـ٣٢٧ ، الشيعة فى التاريخ ؛ ص٣٣

(٤) نفسه ؛ جـ٥ ص ٢٣٠ـ٢٣١

والمرادى ، بل كَتَبَ أكثرُ أهل الكوفة إلى معاوية يقولون : إنا معك وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك . وهاجموا معسكره وجرحوه .

وإزاء هذا الانقسام أظهر الحسن ميلاً إلى الصلح مع معاوية ؛ وعندئذ ثار المتحمسون للمواجهة ضده حتى قال قائلهم : كفر والله الرجل ! » ثم هاجموا فسطاطه وانتهبوه وحاول أحدهم قتله . (١)

وفى تلك الظروف لم يجد الحسن مفراً من أن يقبل الصلح مع معاوية . واشترط الحسن أن يكف الأمويون عن سب أمير المؤمين علي بن أبى طالب ، وألا يسمى الحسن معاوية أمير المؤمنين ، ولا يقيم عنده شهادة .

وقد وجد كثير من الشيعة فى مسلك الحسن أخطاء جسيمة ، مما يتصادم مع اعتقادهم فى عصمته، فكيف سلَّم مقاليد السلطة والإمامة لمعاوية، مع ظهور فجوره؟ وكيف بايعه وأخذ صلاته ؟ وكيف أظهر موالاته مع وفرة الأنصار والأصحاب ؟

يجيب « الميلانى » قائلاً إنه :« لابد من التسليم بصحة جميع أفعاله » وإن كان فيها مالا يُعرف وجهه أو نَفَرَتْ النفوس منه ! » (٢) فهو يغلِّب المذهب على الواقع الحسى المشهود !

● أهل السنة يؤيدون مسلك الحسن

وأما أهل السُّنة عامة فيمتدحون تسليم الحسن الإمامة لمعاوية ، حقناً لدماء المسلمين ، لا تأييداً لمعاوية . وهم يصورون ذلك التسليم بأنه أعاد وحدة الأمة ، ويُسَمُّون ذلك العام عام الجماعة . فابن تيمية يمتدح الحسن لترك القتال (وقبل ذلك) لنصحه لأبيه بتركه . (٣)

ولم يكن أهل العراق بذلك الحال السيئ كلهم جميعاً . فبعيد وفاة علي جاء جارية بن قدامة البصرى إلى الحسن وبايعه وعزاه فى أبيه وقال : **« ما يُجلسك ؟ ! سر يرحمك الله إلى عدوك قبل أن يُسار إليك ! » فقال له الحسن : لو كان النَاس كلهم مثلك لسرتُ بهم » وجاء سليمان بن صرد إلى الحسن بعد الصلح وقال له : « ما ينقضى تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة وشيعتك أهل البصرة »**.(٤) وهذا يشعر الباحث بأن موقف الحسن

---

(١) العبر ؛ جـ ١ ص٣٤ (٢) الميلانى ؛قادتنا ؛ جـ ٥ ص٢٣٠-٢٨٣

(٣) منهاج السنة النبوية ؛جـ ٢ ص١٢١

(٤) نزار المنصورى ؛ النصرة لشيعة البصرة ؛ ص ٩٠ - ٩١

كان غريباً وغير مفهوم . **وقد آثار غضب كبار القادة من شيعة علي ، فدخل سفيان بن أبى ليلى النهدى على الحسن ثائراً وقال : السلام عليك يامُذِلَّ المؤمنين !» وخاطبه آخر بقوله : «يا مسوِّدَ وجوه المؤمنين !»** (١)

● وأنا أقول إن التسليم لمعاوية لم يحقن دماء المسلمين ، بل فتح أبواب التاريخ على مصراعيها لكى تنزف بغزارة ودون توقف . **ذلك لأن التسليم لمعاوية قَضَى على نظام الشورى والبيعة ، وأسس نظام التغلب بالسيف ، أو القرصنة السياسية ، ولم تستطيع الأمة المسلمة أن تستعيد نظامها الشورى إلا فى فترات قصيرة جداً ، وظلت بصفة عامة خاضعة لحكم قراصنة الحكم من الأمويين ثم العباسيين ثم المماليك ثم العثمانيين !** ولم تتوقف الثورات والانقلابات الدموية يوماً . ولم يحدث قط أن عادت حياة الجماعة المسلمة . ولذلك سقطت الدولة الأموية بعد حوالى تسعين عامًا ، وجاء العباسيون بكل قسوة يمكن تصورها لذبح كل أموى ، ونَبش قبور ملوكهم وإحراق رمائمهم ! ثم أخذ العباسيون يقتل بعضهم بعضاً بضراوة ، كما فعل الأمين والمأمون ، حتى فاق عدد القتلى فى الحروب الداخلية العباسية كل ما خسرته الأمة قبل ذلك فى حروبها كلها . وليقرأ من شاء أخبار سنتى ١٩٤ – ١٩٥ هـ فى تاريخ الطبرى» ليرى أنهار الدماء يريقها الحكام ، والمدن تحترق ، وتنهب ، وتخرَّب ، فى همجية لم يعرفها الجاهليون ، **فحق للإمام المودودى أن يقرر أن الدولتين الأموية والعباسية لم تكونا دولتين إسلاميتين !**

كان على الحسن بن عليّ رضى الله عنه أن يتمسك بالخلافة وأن يدافع عن الشورى التى وضعته على رأس الأمة ولايسمح لمعاوية بفرض سطوته بالسيف على رقاب المسلمين ويؤسس نظام الملك العضوض والقرصنة السياسية الذى أهلك الحرث والنسل وتسبب فى تخلف أمتنا إلى اليوم .

● ولم يذكر الحسن فى مواقفه السياسية مبدأ الوصية الإلهية بأن يكون هو الإمام الثانى للأمة ، ولا ذكر أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وآله التى ذكرت الأئمة الاثنا عشر ورتبتهم .. الخ .

فقط بعد وفاة أبيه خاطب الحسن الناس فقال :«أيها الناس مَن عرفنى فقد

---

(١) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٣ ص ٤٤٢

عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، أنا ابن البشير أنا ابن النذير . . أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين افترض الله مودتهم فى كتابه » .(١) وهذا كله حق ، ومعظم أهل العراق يعرفونه ، ولذلك بايعوه على الخلافة ، لكنه فَاجَأهم بالتسليم لمعاوية !

● مناقب الحسن

● والمؤلف الشيعى حرص على أن ينسب إلى الحسن منقبة علمية ، دون تدقيق ، فأساء إليه . قال إن الحسن **سئل عن الرجل إذا نام ، أين تذهب روحه ؟** فأجاب قائلاً : إن روحه متعلقة بالريح ، والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة ، فإن أذن الله برد تلك الروح على صاحبها ، جذبت تلك الروحَ الريحُ ، وجذبت تلك الريحُ الهواءَ ، فرجعتْ وسكنتْ فى بدن صاحبها . وإن لم يأذن الله عز وجل برد تلك الروح على صاحبها ، جذبت الهواءُ الريحَ ، فجذبت الريح الروحَ ، فلم تُرد على صاحبها إلى وقت ما يبعث » .(٢)

ولو أن المؤلف الشيعى راجع ما يقوله القرآن الكريم لنجا من ترديد مثل هذا الخبر الخرافى الذى يسئ إلى الحسن رضى الله عنه ، وهو خريج مدرسة آل البيت وأهل العلم بالقرآن ويستحيل أن يقول كلاماً يناقض القرآن . يقول الله تعالى ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ** ﴾ [الأنعام : ٦٠] وقال جل شأنه ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ** ﴾ [الأنعام : ٦١] ، ويقول جل جلاله ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾

[الزمر : ٤٢]

فالنوم نوع من الوفاة . واليقظة بعث من موت . والله تعالى هو الذى يكلف الملائكة بقبض أرواح العباد الذين حل أجلهم ، ويمسكها ، ويرسل أرواح الذين لم يحل أجلهم بعدُ . ولا دخل للريح والهواء بهذه الظواهر .

---

(١) أبو الفرج الأصبهانى ؛ مقاتل الطالبيين ؛ ص ٥١

(٢) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٥ ص ٢٩٣

وبحسب عقائد الشيعة كان الحسن يعلم أن الحسين هو الإمام الذى سيخلفه ، بحسب النص الإلهى على ذلك . وقد أورد « الكلينى » ثلاثة أحاديث فى هذا الباب ولكن المجلسى ضعَّفها جميعاً فى كتاب مرآة العقول ، لأن من الرواة مفضوحين ذمهم علماء الرجال ، كبكر بن صالح الذى قالوا فيه إنه ضعيف جداً ، ويروون عنه الغرائب والعجائب . وقال « الممقانى » : « جميع رواياته لا اعتبار لها » .(١) ويعترف « البرقعى » بأن الحسن أوصى لأخيه الحسين ، لكن ليس بنص إلهى كما أراد الكلينى .(٢) وإذا كان الحسن قد فقد الإمامة حين سلمها لمعاوية ، لم يبق له إلا الإمامة الروحية ليوصى بها لشقيقه الحسين رضى الله عنهما .

● الإمام الثالث الحسين بن علي رضى الله عنه

لا تذكر المراجع الشيعية والسنية الكثير عن حياة الإمام الحسين بن علي رضى الله عنه ، باستثناء قصة خروجه على يزيد بن معاوية والتى تنتهى كما نعلم جميعاً بمجزرة يستشهد فيها ثمانية عشر رجلاً وطفلاً من أبناء علي وفاطمة ، وعبد الله بن جعفر ، وعقيل بن أبى طالب ، وآخرون .

وُلِدَ الحسين رضى الله عنه فى المدينة المنورة سنة ٤هـ ، بعد ميلاد أخيه الحسن بأقل من سنتين . ونشأ فى حضن أبويْه الكريمين وجدِّه العظيم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، حيث كان بيت على فى جوف المسجد بجوار بيوت النبى عليه الصلاة والسلام .

والأخبار العديدة تتحدث عن حب النبى له ولأخيه ، وتدليله عليه السلام لهما .

وشارك الحسين بطبيعة الحال فى المعارك التى خاضها أبوه يوم الجمل وصِفِّين ، وضد الخوارج . ورأى الحسين مقتل أبيه غيلة وتولى أخيه الحسن الخلافة من بعده ،

---

(١) راجع : كسر الصنم للبرقعى ؛ ص ٢٣٤ – ٢٣٥

(٢) الموضع نفسه

ثم تنازله عنها لمعاوية . وكان معاوية يغْدِق على الحسين ، يسترضيه ، حتى بلغ ما كان يعطيه ثلاثمائة ألف ! لكن الحسين كان يسمع رجال بنى أمية يسبُّون أباه على المنابر ! ومن المؤكد أن ذلك كان له أثر أليم شديد على نفسه ، لا تمحوه أموال معاوية وعطاياه . وكان الحسين رضى الله عنه شديد الاعتزاز بنسبه الشريف ، ومما له مغزاه هنا أنه وهو طفل صغير قال لعمر بن الخطاب الذى كان يهابه الجميع : انزل من على منبر أبى واصعد منبر أبيك ! فقال عمر : إن أبى لم يكن له منبر ! ثم أخذ عمر الحسين إلى داره ، وسأله : أيْ بنى ! مَن علَّمك هذا ؟ قال الحسين : ما علمنيه أحد . قال عمر : أي بنيِ ! لَوْ جَعلتَ تأتينا وتغشانا ؟» فالحسين الصبى يضيق ذرعاً بأى رجل يصعد منبر جده عليه الصلاة والسلام ! والخليفة العظيم عمر يقدر مشاعره ، ثم يستحثه على زيارة بيته .(١)

وحين دوَّن عمر الدواوين وقرر للناس أعطيات ، خصص للحسين خمسة آلاف وللحسن مثلها ، وهو ما يساوى ما خصصه لمن حضر يوم بدر .

وعاش الحسين فى المدينة المنورة طوال عهد معاوية . ومن المؤكد أن أعمال بنى أمية كانت تثير حفيظته ، فضلاً عن الذكريات الأليمة التي انتهت بمقتل أبيه أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ، وتسليم الخلافة إلى معاوية ، ثم قتل أخيه الحسن ابن علي بالسم فى مؤامرة خسيسة . ثم مات معاوية سنة ٦٠ هـ وقبل موته عهد بالخلافة لابنه يزيد ، وَحَمَلَ الناس قسرا على البيعة له .

● لماذا خرج الحسين

وكان يزيد فاسداً سكيراً عربيداً ، لا يصلح لذلك المنصب الكبير فرفض الحسين البيعة له ، وأسرع بالخروج إلى مكة ، ليتجه بعدها إلى العراق .

يقول الذهبى :« كان الحسين قد أَنِفَ من إمرة يزيد بن معاوية ولم يبايعه . وجاءته كُتُبُ أهل الكوفة يحضونه على القدوم عليهم ، فَاغْتَرَّ ، وسار فى أهل بيته ».(٢)

---

(١) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ؛ ٣٨ / ب – تحقيق الطباطبائى .

(٢) الذهبى ؛ العبر ؛ جـ ١ ص ٤٨ – أخبار سنة ٦١

وكان أهل البيت والصحابة رافضين لخروج الحسين ، وقد نصحوه وحاولوا إثناءه عن قراره دون جدوى : نصحه ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدرى وجابر ابن عبد الله وأخوه غير الشقيق محمد بن الحنفية ، بترك الخروج، ووعظوه ، وكشفوا له عن مخاوفهم من فشله وقتله بأيدى بنى أمية ، لكنه لم يستجب لأحد.(١)

لماذا ؟ قلتُ إن أعمال بنى أمية المشينة والمخالفة لمبادئ الإسلام كانت تثير حفيظة الحسين وغيره من الغيورين على الدين . ويضاف إلى ذلك رؤيا رآها الحسين ، ورأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، ولم يقل للناس ماذا قال له . لكن إصراره على الخروج يُفهم منه أنه عليه الصلاة والسلام لم يَنْهَهُ عن الخروج ، وإلا لكان تركه . يضاف إلى ذلك رسائل عديدة جاءته من أهل الكوفة وقادتها تستحثه على الخروج وتعده بالنصرة والتأييد . وصرح الحسين بمضمون تلك الرسائل فقال لعمر بن سعد قائد جنود بنى أمية : «والله ما أتيتكم حتى أتتْنى كُتُبُ أمَاثلكم بأن السُّنة قد أُميتَتْ والنفاق قد نَجَمَ ، والحدود قد عُطلت ، فَأَقْدِمْ لعلَّ اللهَ تبارك وتعالى يصلح بك أمة محمد ﷺ ، فأتيتكم ! فَإِذْ كرهتم ذلك ، فأنا راجع عنكم ، وارجعوا إلى أنفسكم فانظروا : هل يصلح لكم قتلى أو يحل لكم دمي ؟ ألستُ ابن بنت نبيكم وابن عمه وابن أول المؤمنين إيماناً ؟ أَوَ ليس حمزة والعباس وجعفر عمومتى ؟ ألم يبلُغكم قول رسول الله ﷺ فىَّ وفى أخى : «هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟»

ولم تؤثر هذه الكلمات فى عمر بن سعد ورجاله باستثناء «الحر بن يزيد» أحد بنى رياح بن يربوع – الذى انضم إلى الحسين وقاتل معه حتى قتل .

● مجزرة

وبقية القصة سلسلة من التصرفات الإجرامية الوحشية قام بها السفاح عبيد الله بن زياد ، عامل يزيد على الكوفة ، الذى تكفل له بالقضاء على الحسين ، وعمر بن سعد قائد السرية التى قتلت الحسين وبنيه وأهل بيته ، **وعلى رأس الجميع يزيد بن معاوية الذي حاول إصلاح سوآته بعبارات يموه بها على المؤرخين الطيبين !**

---

(١) طبقات ابن سعد ؛ ٥٣ / ب ، ٥٤ / أ

لقد قتل الحسين رضى الله عنه ، وسعد بذلك يزيد بن معاوية . لكن دم الحسين لم يذهب هدراً ، فظلت الأمة المسلمة غاضبة على بنى أمية رافضة لحكمها، وتوالت القلاقل والتوترات والثورات حتى عَصَفَت بدولة أمية الفاسدة ، بعد عُمر لم يتجلور ٩١ عاماً . **ولقى الأمويون المنهزمون من العباسيين المنتصرين ، أضعاف أضعاف الذل والمهانة التى لقيها الحسين ، وأهرقت دماؤهم أنهاراً ، وأبيدت خضراؤهم ، ونُبشت قبورهم ، وأحرقت جماجمهم ، ورمائمهم ، ونَهبت أموالهم ودورهم ، فى سلسلة من المعارك لم يعرف لها تاريخ العرب قبل ذلك مثيلاً فى بشاعتها !**

ومن المؤسف أن الدولة العباسية كانت مثل الدولة الأموية : دولة تغلّب بالسيف ، دولة قرصنة سياسية ، لا مكان فيها للشورى أو البيعة الحرة . فحين سلم الحسن بن على الخلافة لمعاوَية سلّمه فى اللحظة نفسها حكم الإعدام على دولة البيعة الحرة والشورى . ولا تزال الأمة المسلمة ترسف فى قيود المُلك العضوض الذي أسسه معاوية بن أبى سفيان إلى اليوم وتجاهد للفكاك منه، فلا تبلغ من أهدافها إلا أقل القليل .

● الإمام الرابع : علي بن الحسين رضى الله عنه

علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم هو الإمام الرابع لدى الاثنا عشرية . ويُذكر أن أُمَّه بنت يزدجرد ابن ملك فارس .(١) **قال فيه سعيد بن المسيب ، المحدِّث الكبير :«ما رأيت أوْرَع منه». وقال عنه الزهرى ، أمير المؤمنين فى الحديث :«ما رأيت أحداً أفقه منه ، لكنه قليل الحديث».**(٢) يعنى قليل الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله .

ويذكر عبد الرسول الموسوى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك هو الذى قتل هذا الإمام بالسم سنة ٩٥ هـ .(٣)

● أفضل هاشمى

ويصفه شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول إنه كان :«**من كبار التابعين**

---

(١) د. النشرتي ؛ يسألونك عن الشيعة ؛ ص ١٤٧

(٢) الذهبى ؛ العبر ؛ جـ ١ ص ٨٣ (٣) الشيعة فى التاريخ ؛ ص ٣٣٠

وساداتهم علماً وديناً . أخذ العلم عن أبيه وابن عباس والمِسْوَر بن مَخْرَمَة ، وأبى رافع ، مولى النبى صلى الله عليه وسلم وآله وعائشة وأم سلمة - أمهات المؤمنين - وعن مروان بن الحكم وسعيد بن المسيب وعبد الله بن عثمان بن عفان وذكوان ، مولى عائشة ، وغيرهم ، رضى الله عنهم . وَرَوَى عنه : أبو سلمة عبد الرحمن ويحي بن سعيد الأنصارى والزهرى وأبو الزناد وزيد بن أسلم ، أو ابنه ، وأبو جعفر . قال يحي بن سعيد : **هو أفضل هاشمى رأيته فى المدينة** . وقال محمد بن سعد فى الطبقات : **كان ثقة مأموناً ، كثير الحديث ، عالياً رفيعاً** . وروُى عن حماد بن زيد قال : سمعت علي بن الحسين - **وكان أفضل هاشمى أدركته** - يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار عاراً علينا » . وعن شيبة بن نعاسة قال : كان علي بن الحسين يبخل ، **فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة فى السِّر** . وكان له من الخشوع وصدقة السر وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف ، حتى إنه كان من صلاحه ودينه يتخطى مجالس أكابر الناس ، ويجالس زيد بن أسلم ، مولى عمر ابن الخطاب وكان من خيار أهل العلم والدين من التابعين ، فيقال له : تَدَعُ مجالس قومك وتجالس هذا؟ فيقول : **إنما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه** » .(١)

وجاء فى أصول الكافى « صحيفة » نسبها « الكلينى » إلى علي بن الحسين، تحدث فيها عن الزهد فى الدنيا ، وحذر منها فقال إنها :« لَتَرْفع الخميل وتضعُ الشريف وتورد أقواما إلى النار غداً ، وفيها إشارات إلى :« سُنَن الجور وبوائق الزمان وهيبة السلطان ووسوسة الشيطان » - وهو زمان حكم بنى أمية! (٢)

هذه صورة مشرقة لفقيه عالم عابد ، من آل البيت ، عاش فى المدينة المنورة التى كانت تموج بالمحدثين والفقهاء ، فنهل من علمهم ، ثم علَّم وأرشد وفَقَّه . والرجل فوق هذا نموذج للمسلم العارف لدينه العامل به ، فكان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، ويمثل آية فى التواضع والنبل ، رضى الله عنه .

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١٢٣

(٢) أصول الكافى ؛ صحيفة علي بن الحسين (رضى الله عنهما) وكلامه فى الزهد .

● الإمام الخامس : محمد بن علي الباقر (أبو جعفر) رضى الله عنه

ولد الباقر سنة ٥٧ هـ . قال عنه ابن كثير : «**هو تابعي جليل ، كبير القدر كثيراً . أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً**. وهو أحد من تدعى فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثنى عشر ، ولم يكن الرجل على طريقهم ، ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع فى أذهانهم وأوهامهم وخيالهم ، **بل كان ممن يقدِّم أبا بكر وعمر ، وذلك عنده صحيح فى الأثر . وقال أيضا : ما أدركت أحداً من أهل بيتى إلاَّ وهو يتولاهما رضى الله عنهما** . وقد رَوَى «الباقر» عن غير واحد من الصحابة . وحدَّث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم . فممن روى عنه ابنه جعفر الصادق والحكم بن عتيبة ، وربيعة ، والأعمش ، وأبو إسحاق السبيعى ، والأوزاعى، والأعرج – وهو أسَنُّ منه، وابن جريج ، وعطاء ، وعمرو بن دينار ، والزهرى. (١)

● باقر العالم

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : « أبو جعفر محمد بن علي من خيار أهل العلم والدين ، وقيل **إنما سُمِّى الباقر لأنه بقر العلم** ، لا لأجل بقْر السجود جبهته . . . وأخذ العلم عن جابر وأنس بن مالك . وَرَوَى أيضًا عن ابن عباس وأبى سعيد وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة ، وعن سعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن أبى رافع – كاتب علي ». (٢) .

ويذكر أنه قال لجابر : «بلغنى أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ، ويتناولون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أنى أمرتهم بذلك ، فَأبلغْهم عنى أنِّى إلى الله منهم برئ ! والذى نفس محمد بيده – يعنى نفسه – لو وُلِّيت لتقربت إلى الله بدمائهم ! ولا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وآله إن لم أستغفر لهما ، وأترحم عليهما!» وقال أيضاً :

---

(١) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ جـ٩ ص ٣١٣

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٢ ص ١٢٣

« من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر فقد جهل السُّنَّة ». [1] وسأله جابر : أكان منكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر ؟ قال : لا ، فأحبهما وتولاهما واستغفر لهما ». [2]

ومن أقوال الباقر : « قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص ! »

وقال الباقر أيضاً : « سلاح اللئام قبيح الكلام ».

وقال أيضا : « أشد الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، وإنصافك من نفسك ، ومواساة الأخ فى المال ».

وقال كذلك : « الإيمان ثابت فى القلب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ! وما دَخَلَ قلبَ عبدٍ شيءٌ من الكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه ! » [3]

والمواقف الإيجابية للباقر تجاه أبى بكر وعمر لا تعنى أنه ليس من أئمة الشيعة . فهو الإمام الخامس باعتراف الجميع . لكنه ليس من الغلاة الذين انحرفوا عن طريق أئمة أهل البيت ، ابتداءً من « علي » ومروراً بالحسن والحسين ، إلى الباقر. والحق أنه يجب أن نفرق بين أهل البيت وبين الغلاة لكى نتجنب الكثير من الاضطراب والخلط ، ونبنى آراءنا على أساس من مزاعم الغلاة ، ظانين أنهم يمثلون المذهب الحق ، فتتسع الهوة الفاصلة بين السُّنَّة والشيعة ، ونبتعد عن تحقيق الوحدة الإسلامية التى هى سبيلنا الوحيد للنجاة من الضياع والخراب والهزيمة والمذلة أمام الطاغوت الأمريكى . وتوفى الباقر سنة ١١٧ هـ

● الإمام السادس : جعفر بن محمد الصادق ، رضى الله عنه

وهو ابن محمد الباقر بن على زين العابدين . ووالدته : أم فروة بنت القاسم بن محمد ، حفيدة أبى بكر الصديق . والقاسم بن محمد نشأ فى حجر خالته

---

(١) ابن كثير ؛ الموضع نفسه .
(٢) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ؛ جـ ٥ ص ٣٨٠
(٣) ابن كثير ؛ السابق ؛ جـ ٩ ص ٣١٤

أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنهم جميعاً .[١] ويُذكر أن الإمام جعفر بن محمد الصادق وُلد سنة ٨٠ (أو ٨٣) هـ ، ومات سنة ١٤٨ هـ ، ويُقال إنه قُتل بالسم على يد المنصور الدوانيقى .[٢]

وجملة أخباره تبين أنه رضى الله عنه **هو الذى شيد المذهب الفقهى الإمامى ، حتى سُمى باسمه : «المذهب الجعفرى» ، بعد أن كان مفرقاً ، فيقول شاعرهم :**

بنهجك قد وضح المذهب ... فسار به ركبنا المتعَب
وزال عن الجو ذاك الغبار ... فَلاَحَ لنا الأفق الأرحب[٣]

ويصور لنا شيخ الإسلام ابن تيمية شخصية الإمام الصادق فيقول : « وجعفر الصادق رضى الله عنه من خيار أهل العلم والدين . أخذ العلم عن جده -أبى أُمِّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق - وعن محمد بن المنكدر ، ونافع مولى ابن عمر ، والزهرى ، وعطاء بن أبى رباح ، وغيرهم . وَرَوَى عنه يحيى بن سعيد الأنصارى ، ومالك بن أنس وسفيان الثورى وسفيان بن عينية وابن جريج ، وشعبة ويحيى بن سعيد القطان ، وحاتم بن إسماعيل ، وحفص بن غياث ، ومحمد بن إسحاق بن يسار . وقال عمرو بن أبى المقدام : **كنتُ إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سلالة النبيين**» . ويعقب ابن تيمية بقوله : « ولهذا نَسبت إليه أنواع من الأكاذيب ، مثل كتاب البطاقة والجفر والهَفْت والكلام على النجوم ، وفى مقدمة المعرفة من جهة الرعود والبروق واختلاج الأعضاء » .[٤]

ويذكر الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله أن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، جد الصادق لأمه ، كان أحد الفقهاء السبعة الذين دونوا العلم المدنى ، أو كانوا أظهر من دوَّنه . وأن القاسم هذا قد رَوَى عن أم المومنين عائشة رضى الله عنها ، وعلم عبد الله بن عباس ، رضى الله عنه ، وكان مجتهداً ذَا رأي ؛ وقد توفى

---

(١) ،(٢) أبو زهرة ؛ ص ٢٦
(٣) محمد جمال الهاشمى ؛ الهاشميات ؛ ص ٢٨١
(٤) منهاج السنة ؛ جـ ٢ ص ١٢٤

سنة ١٠٨ هـ والصادق فى الثامنة والعشرين ، فلا بد أنه التقى به وأخذ عنه » . [١]
وروى الإمام جعفر الصادق عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب . وذكر جعفر زيداً يوماً فقال : يرحم الله عَمِّى ، كان والله سيداً ؛ والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله » . [٢]

وينسب إلى الإمام الصادق أنه أَلَّف كَتاباً فى الكيمياء ، كان عبارة عن خمسمائة رسالة ، ضمنها أبو موسى الطرسوسى فى كتاب ألفه . ولكن الشيخ صلاح الدين الصفدى نفى أن يكون للإمام الصادق مؤلفات فى الكيمياء وقال : أنا أنزه جعفر الصادق رضى الله عنه عن الكيمياء ، وإنما أراد هذا الشيطان الإغواء بكونه عزا ذلك إلى جعفر الصادق » . [٣] ولا ريب أن من الممكن أن يستغل البعض مكانة الصادق ، كما استغلت مكانة كبار الفلاسفة والفقهاء ، فينسب البعض مؤلفاتهم إليه . لكن يظل من الممكن أن يكون الإمام قد كتب شيئاً فى الكيمياء ؛ والمسألة بحاجة إلى تحقيق . ولست أرى فى الكيمياء ما يشين الباحثين فيها حتى يقال كما قال الشيخ الصفدى إنه ينزه الإمام عنها !

وكان الإمام جعفر الصادق حكيماً بحق . وقد تجلى ذلك فى توجيهاته لتلاميذه وأتباعه وأهل بيته . فيذكر أن السيد الحميرى كان يرى رجعة محمد بن الحنفية فى الدنيا وأنه لم يمت ، وأنه فى جبل بين أسد وتمر ، يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان . . ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . ويقال إن السيد (الحميرى) اجتمع بجعفر الصادق عليه السلام فعرفه خطأه ، وأنه على ضلالة ، فتاب . [٤] ولما أراد يحيى بن زيد الثورة على الأمويين ، فى خلافة هشام ، نهاه الصادق عن ذلك ، وعرفه أنه مقتول كما قتل أبوه » . وقد صَدَقَتْ حكمة الصادق وفراسته . [٥]

---

(١) أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ الفقرة ٧٠ ص ٩٠ والفقرة ١٣٢ ص ١٦٦ – ١٦٧
(٢) محمد شاكر الكتبى ؛ فوات الوفيات ؛ ص ٣٥ – ٣٦
(٣) نفسه ؛ ص ٢٧٥ (٤) فوات الوفيات ؛ ص ١٨٨ – ١٨٩
(٥) نفسه ؛ ص ٣٧

● الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم رضى الله عنه

هو ابن جعفر بن محمد الباقر . ولد بالمدينة المنورة سنة ١٨٣ هـ . قلده أبوه منصب الإمامة فى وقت شهدت فيه الدولة العباسية الاستقرار والسكينة .

والإمام الكاظم تلقى العلم فى بيت أبيه الإمام الباقر . وينسب إلى أبى حنيفة أنه قال : حججتُ فى أيام أبى عبد الله الصادق عليه السلام . فلما أتيت المدينة دخلتُ داره ، فجلست فى الدهليز أنَظر إذنه – عليه السلام – **إذْ خرج صبى فقلت : يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم !**

قال : على رِسلِك ! ثم جلس مستنداً إلى الحائط ، ثم قال : تَوَقَّ شطوط الأنهار ، ومساقط الثمار ، وأفنية المساجد ، وقارعة الطريق ، وتوار خلف جدار ، وشل ثوبك ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ، وضع حيث شئت !

قال أبو حنيفة : فأعجبنى كلامه ، فسألته : ما اسمك ؟

قال : أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب .

فقلت له : يا غلام ، ما المعصية ؟

قال : إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث : إما أن تكون من الله ، وليست من العبد (وهذا مذهب الجبرية!) فلا ينبغى للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب ! وإما أن تكون منه ومن العبد ، وليست كذلك ، فلا ينبغى للشريك القوى (أى الله تعالى) أن يظلم الضعيف (أى العبد) ! وإما أن تكون من العبد ، وهى منه ، فإن عفا (الله عنه) فكرمه وجوده ! وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته ! (وهذا مذهب الإمامية والمعتزلة القائلين بحرية الإرادة)

● طفل فقيه

ومن الواضح أن حرص الإمامية على جعل هذه المناقشة جزءاً من سيرة الكاظم القصد منه إثبات سعة علمه منذ الصغر ، لدرجة انبهار الإمام والفقيه السنِّى الكبير أبو حنيفة به . ومن الطبيعى أن يحفظ الصبى فى بيت كبيت الباقر الكثير من الأحكام الفقهية والآراء الكلامية .

لكن المؤلف الشيعى فى سيرة الكاظم يسئ إليه من حيث يقصد تعظيم علمه .

● حدود فدك الخرافية !

يقولون إن هارون الرشيد قال للكاظم : « خُذْ فَدَكاً، فقال : لا آخذها إلا بحدودها ! قال هارون : وما حدودها ؟ قال الكاظم : يا أمير المؤمنين : إن حَدَّدْتُها لم تردَّها ! قال هارون: بحق جدك إلا فعلْت ! قال الكاظم : **أما الحد الأول فَعَدَن !** فتغير وجه الرشيد ، وقال : **الحد الثانى سَمَرْقَنْد** ! فَاربَدَّ وجه الرشيد . قال الكاظم : **والحد الثالث إفريقيا** ! فَاسْوَدَّ وجه الرشيد ! قال الكاظم هيه **والرابع، قال: سيف البحر** مما يلى الخَزَر وأرمينية ! فقال الرشيد : فلم يبق لنا شيء ! قال الكاظم: قد أعلمتُك أنى إن حددتها لم تردَّها ! فعند ذاك عزم هارون الرشيد على قتل الإمام الكاظم !

ومعروف للكافة أن هذه ليست حدود « فدك » . فهل كان الكاظم يجهل الحدود الحقيقية لـ « فدك » ؟ هذا مستحيل ، لأن أرض فدك معروفة بحدودها جيداً لأهل الحجاز منذ أن تسلمها النبى صلى الله عليه وسلم وآله . فماذا يقصد بهذه الحدود : عدن – سمرقند – إفريقيا – أرمينية ؟ هل يقصد أن تلك المناطق من حق الشيعة أن يحكموها ؟ وهل من اللباقة أن يعلن ذلك فى وجه هارون؟ (١)

والظاهر أن هارون أدرك أن الكاظم يحدد نصيبه من المملكة تحت شعار استعادة « فدك » ؛ وهذا هو ما يفَسِّر حَبْسَهُ للإمام الكاظم حتى مات محبوساً ! والحق أن حبس الكاظم لم يجد من المؤلفين العناية الكافية التى تكشف عن أسبابه الحقيقية . وما ذَهَبْتُ إليه هنا مجرد خَرْصٍ لا يرقى إلى اليقين .

وأما عبادة الكاظم وأخلاقياته وكرمه فيشهد بها الجميع ، وتضرب بها الأمثال ، رضى الله تعالى عنه.(٢)

---

(١) راجع المبحث الأول – البذرة الثانية للخلاف .

(٢) ابن تيمية ؛ منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١٢٤

وبحكم طبيعة هذه الدراسة المقارنة يهمنا أن نتذكر هذه العلاقات الطيبة التى ربطت الإمام أبا حنيفة والإمام مالك – رضى الله عنهما ، وهما كما نعلم أعلام الفقه السُّنى – بالإمام الباقر وأولاده وأهل البيت جميعاً رضى الله عنهم .

● الإمام الثامن علي بن موسى ، رضى الله عنه

ولد علي بن موسى سنة ١٥٣ هـ ، وعاش فى عهد المأمون العباسى حتى مات سنة ٢٠٣ هـ عن ٥٠ عاماً . ويقول ابن كثير:« إن المأمون قدَّم أن ينزل له عن الخلافة ، فأبَى عليه ذلك ، فجعله وليّ العهد من بعده » . (١) ولكن ابن تيمية يقول :«إن المأمون قربه وزوجه ابنته ، أم حبيب وولاَّه الخلافة ». لكنه رجع إلى القول إنه جعله وليَّ العهد ، واستمر ذلك إلى أن مات علي بن موسى ، ولم يخلعه من عهده». (٢) ولم يُذكر شيء عن سبب ذلك ، هل هو حب المأمون لابنته ، أم لثقته فى علي بن موسى ، أم نكاية فى المستحقين لوراثة الخلافة ، أم لصعوبات كبيرة واجهت المأمون ! لا بد أن نفكر فى هذه الاحتمالات لأنه أمر جَلَلٌ أن ينقل المأمون وراثة العرش العباسى إلى عَلَوى ! ولا نستطيع أن ننسى القلاقل المدمرة التى حاقت بالدولة العباسية فى نهاية المائة الثانية والحروب الأهلية التى أكلت الأخضر واليابس بين الأمين والمأمون . (٣)

ويشهد ابن تيمية للإمام علي بن موسى الرضا بأنه :« كانت له من المحاسن والمكارم المعروفة ، والممادح المناسبة للحالة اللائقة به ما يعرفه بها أهل المعرفة ». لكن ابن تيمية ينفى قول الإمامية إنه كان أزهد الناس وأعلمهم». ويقول : «إنه كان فى زمانه من هو أعلم منه وأزهد منه كالشافعى وإسحاق بن راهوية وأحمد بن حنبل وأشهب بن عبد العزيز وأبو سليمان الدارانى ومعروف الكرخى ، وأمثال هؤلاء . هذا ولم يأخذ عنه أحد من أهل العلم بالحديث شيئاً ، ولا رَوَى له حديثًا فى كتب السنة». (٤)

---

(١) البداية والنهاية ؛ جـ ١٠ / ص ٢٧٢

(٢) منهاج السُّنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١٢٥ – ١٢٦

(٣) راجع تاريخ الطبرى ؛ الأحداث فى السنوات العشر الأخيرة من المائة الثانية .

(٤) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١٢٦

● لوازم مصاهرة المأمون

وأحسب أن مصاهرة المأمون لا بد أن تكون قد جذبت الإمام علي بن موسى إلى خضم السياسية التى كانت مشتعلة بنيران حرب الأخين : الأمين والمأمون . ولا أتصور أن الإمام يرى صهره فى تلك الظروف العسيرة ثم يجلس ساكناً يتفرج ! لا بد أنه خاض فى تلك المشكلات على نحو أو آخر ، وهو ولي عهد الخليفة رسمياً . وما كان المأمون ليضعه ولياً لعهده إلا لثقته فى خبرته السياسية . وفى مثل تلك الظروف لا يستطيع ولي العهد أن يتفرغ للدراسة والتدريس فى مدارس بغداد وجوامعها . وبالمثل من العسير على ولي عهد المأمون أن يمارس الزهد وسط الحياة الثرية فى قصور العباسيين . فلا لوم على الإمام أن اكتفى بالقليل من العلم الذي لا يجوز لمثله أن يجهله ، ولا حرج عليه أنه لم يدخل فى سباق مع كبار الزهاد فى عصره .

ولعلنا ننصفه حين نتذكر أنه من النادر جداً أن يستطيع رجل من أهل البيت أن يفوز بثقة الخليفة العباسى حتى يزوجه ابنته ، ويعينه ولياً لعهده . لقد عرف فيه المأمون صفات عظيمة ، لكن كتب التاريخ لم تسجلها ، أو لعلها سجلتها لكنها لم تصل إلى علمنا المحدود .

● الإمام التاسع محمد بن علي الجواد (وكنيته : أبو جعفر)

وهو ابن موسى الكاظم . ولد سنة ١٩٥ هـ . تزوج بنت الخليفة المأمون ، أُم الفضل . واشتهر بالسخاء . وتوفى سنة ٢٢٠ هـ وهو فى حوالى الخامسة والعشرين، ودفن فى بغداد . وكان المأمون يعطيه كل سنة ألف ألف درهم ، كان ينفقها على الفقراء والمحتاجين .

وقد عاش الإمام الجواد حياته القصيرة – حوالى ٢٥ عاماً – فى المجتمع العباسى الذى كان يموج بالأفكار والتيارات . والأرجح أن حياته القصيرة لم تتح له الزمان المتسع للتحصيل والنضج ، وممارسة الإمامة العلمية الكاملة . وسنجد فى سيرته أخباراً تريد أن تؤكد له تلك الإمامة المفتقدة !

● زواج قسرى

ومن أبرز أحداث حياته زواجه من ابنة الخليفة المأمون «أم الفضل». فيذكر أن المأمون زوَّجه ابنته قَسْرًا ، بهدف تبرئة نفسه من قتل الإمام الرضا ، وإخماد انتفاضات العلويين . هذه رواية ؛ وهى أكثر معقولية من **الرواية الأخرى التى تقول إن المأمون شغف بحب الجواد لما رأى من فضله فى العلم والحكمة ، فزوجه ابنته «أم الفضل»** وتذكر الرواية أن الجواد لم يكن قد أتم العاشرة من عمره! فكيف يتفوق طفل فى العاشرة على أعلام الفقه والأدب فى ذلك العصر ؟ بل كيف يجوز شرعاً تزويج طفل صغير ، قسراً أو طوعاً ، بغير ولي ؟!

وتمضى الروايات الحالمة لإثبات علم المشيخة والإمامة للصبي الصغير ! فحين يعترض أبناء الأسرة المالكة على زواج الجواد من ابنة المأمون يقترح الخليفة عقد امتحان فقهى له ، على الملأ لإثبات جدارة الجواد . ويجتمع الناس لمشاهدة الامتحان ، ويأتي العالم الفقيه ، قاضى القضاة ، يحيى بن أكثم ، ويطرح السؤال : **ما تقول فى مُحْرِمٍ قَتَل صيداً** ؟ فيتساءل الجواد : قتله فى حل أو حرم ؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأ ؟ حرًّا كان المحرم أم عبداً ؟ صغيراً كان أم كبيراً؟!

ولا مشكلة فى الرد على هذه التساؤلات ، لأن الأمر هو مجرد تقديم بيانات ومعلومات ، يتطلبها إصدار الفتوى ، والمنطقى هنا هو أن يقدم قاضى القضاة هذه المعلومات . **لكن الأخبار لا تقول هذا ، بل تقرر أن قاضى القضاة : تحيَّر ، وبَانَ فى وجهه العجز والانقطاع ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره !**

وهكذا تزيف الرواية نفسها بنفسها ! فهى تريد إقناعنا بأن قاضى القضاة الفقيه الكبير عجز عن تقديم المعلومات الأولية اليسيرة التى تبنى عليها الفتوى !

واندهش المأمون من سعة علم الجواد – الذى لم يصدر الفتوى ! – ومن عجز قاضى القضاة ، فعرض ابنته على ذلك الصبي الفقيه البارع ، **وقال : أتخطب يا أبا جعفر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين !**

ومرة أخرى ينسى مؤلف الرواية أن الجواد لم يكن قد أنجب ، ولاله ولد ، ولم يكتسب كنية «أبو جعفر» بعدُ ، وكان على المأمون أن يناديه باسمه «محمد» !

● امتحان قاضى القضاة

ويذكر أن الجواد أراد امتحان قاضى القضاة ، فطرح سؤالاً «معقداً» فعجز الفقيه الكبير عن الجواب ، وعندئذ علمه الجواد الإجابة ! وكانت صيغة السؤال هى : خَبِّرنى عن رجل نظر إلى امرأة أول النهار ، فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار حلَّت له ، فلما زالت الشمس حُرِّمَتْ عليه ، فلما كان وقت العصر حَلَّت له ، فلما غربت الشمس حُرِّمت عليه ، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له ، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه ، فلما طلع الفجر حلت له! ما حال هذه المرأة ؟ وبماذا حلت له وحرمت عليه ؟

وعجز قاضى القضاة عن الجواب ، وأجاب الجواد (الصبي محمد بن علي!)، وسعد المأمون بذلك ، وقُهِرَ أبناء البيت المالك !

إن وفاة الجواد فى سنٍّ مبكرة تسببت فى مشكلات للمؤرخ الإمامى ، فتفتق ذهنه عن هذه الأخبار المتناقضة التى لا تقابلنا فى سيرة الباقر أو الصادق ، تلك السيرة العامرة بالحقائق ، رضى الله عنهم أجمعين .

● الإمام العاشر علي بن محمد الهادى

هو ابن محمد الجواد ، وكنيته أبو الحسن ، ويعرف بالعسكرى . أمه « أم الفضل » ـ بنت الخليفة المأمون العباسى . وقد وُلد سنة ٢١٢ هـ ، ويقال إنه مات مسموماً بفعل الخليفة المعتز العباسى ، فى مدينة سامراء ، (أو المتوكل فى رواية أخرى ، هى الأرجح)

وقد قرر المؤرخون أن الهادى كان علماً مرموقاً فى مجالات العلم . وقد تلقى عنه علوم الشريعة عدد كبير من التلاميذ . وتحفل كتب الحديث والفقه والتفسير بما أُثر عنه ، وإن لم يؤلف هو نفسه أى كتب :من ذلك قوله :« إن الله جعل الدنيا

دار بلوى ، والآخرة دار عُقبىَ ، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً». وقال أيضاً : «الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون». وقال كذلك :«اذكر مصرعك بين يدي أهلك ، ولا طبيب يمنعك ، ولا حبيب ينفعك».

وهذه الأقوال والمواعظ تعبر عن توجه تزهدى إسلامي أصيل .

● فتاواه

وتُذكر للإمام الهادى فتاوى ، للتدليل على تضلعه فى الفقه ، لكن التدقيق فيها لا يدل على ذلك . وظنى أن بعض هذه الفتاوى منحولة عليه .

الفتوى الأولى تدور حول رجل نصرانى فجر بامرأة مسلمة ، فأراد المتوكل أن يقيم عليه الحد ، فأسلم الرجل النصرانى ، ومن ثم ارتبك الفقهاء فى شأن عقوبته . وكتب المتوكل يستفتى الهادى ، فرد عليه بقوله :«يُضرب حتى يموت». واستند الهادى إلى قول الله تعالى ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [غافر:٨٤ – ٨٥]

ونحن نرى أن الآيتين لا تحكمان فى جريمة الزنا . وحد الزنا معروف ، والأدلة عليه معروفة ، وهى قول الله تعالى ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ [النور:٢] هذا لغير المُحْصَن . أما المحصن فحدُّهُ الرجم حتى الموت .

ولهذا تثور الأسئلة :

هل كان الرجل مُحْصَناً أم لا ؟

وهل كانت العقوبة للزنا أم للتوقّى من العقوبة بإعلان الإسلام نفاقاً ؟

وهل تيقَّن الإمام أو المتوكل من أن إيمان الرجل كان مجرد تَوَقٍّ وليس صادقًا؟

ولا تبين الفتوى إن كانت الجريمة قد ثبتت باعترافه أم بأربعة شهود ؟

والعقوبة الحدية للزنا هي الرجم حتى الموت ، وليس الضرب حتى يموت ! والفتوى حكمت بالضرب حتى الموت . وهذا تناقض : فإما رجم حتى الموت ، وإما ضرب (لغير المحصن) حتى أربعين جلدة . فهنا خلط بين الحدَّيْن ، وهو لا يليق بالإمام الهادى ويحتم رفض نسبة الفتوى إليه .

والفتوى الثانية كانت عن «حد المال الكثير» . وكان المتوكل قد نذر لله إن رزقه الله العافية أن **يتصدق بـ«مال كثير»** فلما عافاه الله سأل الفقهاء عن «حد المال الكثير» . فاحتاروا ، فسأل الخليفة الإمام الهادى فأفتاه بأنه ثمانون درهماً . واستند الإمام إلى لفظ : «مواطن كثيرة» [1] الذى ورد فى القرآن ، وعَدَّ تلك المواطن فوجدها ثمانين موطناً .

وهنا أيضاً نجد صعوبة كبيرة فى إجازة هذه الفتوى . وقد تردد لفظ «كثيرة» ١١ مرة فى القرآن ، وحوالى ١٣ مرة بصيغ مختلفة من اللفظ نفسه . ولننظر فى آية واحدة لنعرف مدى دقة الفتوى . قال تعالى ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً** ﴾ [البقرة:٢٤٩] والفئة هنا فرقة من الجنود ، وقد يبلغ عددهم الآلاف !

ومن البدهىّ أن لفظ «كثيرة وكثير» نسبى . فقد يقال :«هذا كثير» على العشرة والعشرين ! وقد يقال : «هذا قليل» على بِضْع ألوف. وكانت فرصة أن نَذَرَ الخليفة دون تحديد ، لكى يفسر المال الكثير بالآلاف . فهذا هو السلوك الفقهى السديد فى فتوى تحدد صدقة ملك عظيم جداً . ومن المؤكد أن ثمانين درهماً هو مبلغ ضئيل جداً بالنسبة لخليفة ، وإن كان كثيراً بالنسبة لإنسان فقير والله تعالى أعلم .

وتستغرق سيرة الهادى جانباً كبيراً لوصف صلته بالخليفة المتوكل . فعندما كان الهادى يعيش فى المدينة كان المتوكل يتوجس منه خيفة ، لما حدث

---

(١) سورة التوبة ؛ شطر الآية ٢٥

من العلويين من ثوراث وانقلابات ، فأرسل الخليفة يحيى بن هرثمة إلى المدينة ليراقبه ويتجسس عليه . وبعد فترة عاد هرثمة إلى الخليفة وأخبره بأن الإمام رجل عالم زاهد . ومع هذا لم تهدأ شكوك المتوكل ، فأمر بإحضار الإمام إلى سامراء ليكون تحت رقابته . وانتهت علاقة الرجلين بأن دُسَّ السَّم في طعام الإمام ، فلحق بالرفيق الأعلى في رجب سنة ٢٤٥ هـ ، رضى الله عنه ، وهو في شرخ الشباب .

الإمام الحسن بن علي العسكرى (ابن على الهادى) رضى الله عنه .

وهو الإمام الحادى عشر فى سلسلة الأئمة الاثنا عشرية ، ولد سنة ٢٣٢ هـ لقب بالعسكرى نسبة إلى « سامراء » وكانت مدينة العسكر ومات مسموماً بمؤامرة من الخليفة العباسى المعتمد سنة ٢٦٠ هـ وعمره ثمان وعشرون سنة ، ودفن مع أبيه .

عاش الإمام العسكرى فى حياة ثلاثة من خلفاء بنى العباس هم : المعتز والمهدى والمعتمد . وكان عصره عصر استبداد ومظالم ، وبذخ ولهو فى قصور الحكام . ومن الطبيعى أن يقع صدام بين السلطة الظالمة وبين العلماء والأئمة ، الذين ينتقدون الأوضاع الخاطئة ، ولو بأساليب غير مباشرة . فالحديث عن العدل فى الإسلام وفى تطبيقات الخلفاء الراشدين يثير حفيظه الحكام الظلمة فى جميع العصور ، وحتى يوم الناس هذا ، وهم يعتبرون تقريظ الخلفاء الراشدين زراية بهم وتحريضاً للناس ضدهم .

● **السجن !**

ومن أجل ذلك زُجَّ بالإمام الشاب الحسن العسكرى فى السجن غير مرة ، كما اعتقل بعض أنصاره من الشيعة العلويين . وكدأب السادة العظماء من الأئمة والعلماء ، كان الإمام الشاب يتخذ من السجن معبداً ، ومعهداً ، فيقضى أيامه الطوال فى الصلاة وقراءة القرآن ودراسة الشريعة ، ومن ثم نال محبة الناس وثقتهم . فتروى قصة عجيبة عن القحط الذى أصاب « سُرَّ من رَأَى » وكيف أن راهباً نصرانياً رفع يده إلى السماء فأمطرت ، مما أغرى البعض على اعتناق النصرانية ! وعندئذ لجأ الناس إلى الإمام العسكرى فذهب معهم للاستسقاء . وجاء الراهب النصرانى ،

وأراد أن يرفع يده إلى السماء كما فعل فى اليوم السابق ، لكن الإمام أمر بعض مماليكه أن يأخذوا بيد الراهب ويروا ما فيها ، فوجدوا فيها عظماً أسود ، فأخذه الإمام وطلب من الراهب أن يستسقى فَفَعَلَ ولكن لم يستجب له كما حدث فى اليوم السابق !

وسأل الخليفة الإمام عن ذلك فقال :« إن هذا الراهب مَرَّ بقبر نبى فوقع فى يده هذا العظم ، وما كُشِفَ عن عظم نبى إلا هطلت السماء بالمطر» .

وهكذا بدد الإمام الصورة الكاذبة لذلك الراهب وأعاد للناس الثقة فى أئمتهم .

ومن الصعب قبول هذه الرواية ، لأن المسلمين لم يعرفوا شيئاً اسمه التوسل بعظام الأنبياء .

تفسيره للقرآن

ولعل تفسير الإمام الحسن العسكرى لبعض آيات القرآن الكريم هو أهم جانب فى أعماله العلمية . من ذلك أن بعض الشكاك قالوا : إنكم تقولون فى صلواتكم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة :٦] أولستم فيه ؟ هل أنتم متنكبون عنه فتدعون الله أن يهديكم إليه ؟ وقد رد الإمام على هذه الشكوك المبتذلة فقال إن معنى الآية هو : « أَدِم لنا توفيقك الذى به أطعناك فى ماضى أيامنا حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمالنا » .

وعرف الإمام « الصراط المستقيم » فقال : « الصراط المستقيم هو صراطان : صراط فى الدنيا وصراط فى الآخرة . أما الأول فهو : **ما قَصُرَ عن الغُلو ، وارتفع عن التقصير ، واستقام فَلَم يعدِل إلى شىء من الباطل** » .

وفَسَّر قول الله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة :٧] فقال : « ويتصوَّر أن المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحة البدن ، وإن كان كلٌّ هذا من نعمة الله ، ولكن المراد من الآية القرآنية قوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة :٧] **هو نعمة التوفيق والهداية** » .

وهذا قريب جداً من تأويل شيخ المفسرين السُّنة الإمام الطبرى رحمه الله إذْ يقول إن ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ : « هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ». ثم يقول بعد قليل :« والذى هو أوْلى بتأويل هذه الآية عندى أن يكون معنياً به : **وَفِّقْنَا للثبات على ما ارتضيته وَوَفقْتَ له مَنْ أنعمتَ عليه من عبادك ، من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم** ».(١)

أما غلاة الشيعة فلا يقفون عند المعانى المقررة للألفاظ ، ولا يحترمون القرائن، ولا يلقون بالاً لأئمة المفسرين السُّنة أو الشيعة ! فيقول أحدهم ﴿ **الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ **هو علي بن أبي طالب ، أو هو صراط محمد وآله** . ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ **يقول** : النبى ومن معه **وعلي بن أبى طالب وشيعته** ».(٢) **وينسب ذلك إلى رسول الله** ﷺ ، وهى أحاديث لم يعرفها الإمام الطبرى ولا الإمام الحسن العسكرى!

ولو سألناه : أي شيعة يقصد ؟ هل هم الإمامية أم الزيدية أم الإسماعيلية ؟ لما وجد جواباً إلا الرجوع إلى تفسير الأئمة العظام . **إذْ لا يمكن تفسير الآيات بحصرها تعسفياً فى حق أئمة مذهب من المذاهب ، ثم يتنازعها مخالفوه ، وتروج عندئذ سوق التزوير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله !**

● العلماء بعد الأئمة الاثنا عشر

بعد الحادى عشر ، ينتظر الشيعة الإمام الثانى عشر الغائب ، ويتولى العلماء دور الأئمة طول فترة الغيبة . لقد انتهى عهد التعيين والوصية ، وانتقلت الزعامة الحقيقية إلى علماء الشيعة ».(٣)

ويقول الشيعة إن الوقوف عند الثانى عشر ثابت بنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله حيث قال للحسين بن علي : « هذا إمام ابن إمام ، أخو إمام ،

---

(١) تفسير الطبرى ؛ تفسير فاتحة الكتاب ؛ جـ ١ ص ١٧٠ – ١٧١

(٢) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ ٣ ص ٣٥ – ٣٦

(٣) القبانجى ؛ تاريخ التشيع الفكرى ؛ ص ٨٢

أبو أئمة تسعة ، تاسعهم قائمهم ، اسمه كإسمى ، وكنيته كنيتى ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » . **هذا الحديث أورده ابن تيمية نقلاً عن كتاب «منهاج الكرامة» ، وعلق عليه فقال : إن سائر مذاهب الشيعة تكذبه : الزيدية والإسماعيلية ، وبقية فرق الشيعة التى تبلغ نحو سبعين فرقة ! وعلماء الشيعة المتقدمون لم ينقلوا هذا (الحديث) ولم يحتجوا به ، بل كانوا يحتجون بوجود نص على إمامة «علي» أو على ناس بعده ، لكن أحداً منهم لم يدَّع النص على اثنا عشر» .**(١)

● حديث سمرة بن جندب

وينفى ابن تيمية أن يصْدُق حديث جابر بن سمرة الذى أخرجه الإمام مسلم على الاثنا عشر عند الإمامية . فنص الحديث يقول : «لا يزال الإسلام عزيزاً» . وهذا يدل على أنه يكون أمر الإسلام قائماً فى زمن ولايتهم . . وعند الاثنا عشرية لم يقم أمر الأمة فى مدة أحد من هؤلاء الاثنا عشر! بل ما زال أمر الأمة فاسداً منتقضاً ، يتولى عليهم الظالمون المعتدون ، بل المنافقون الكافرون ، وأهل الحق أذَل من اليهود» .(٢)

ونص حديث سمرة كما أخرجه مسلم يقول : «دخلتُ مع أبى على النبى صلى الله عليه وسلم وآله فسمعته يقول :«إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة» .(٣)

وعلق الإمام النووى على هذا الخبر بقوله : إنه مخالف للحديث القائل : «**الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً**» . ومعلوم أنه لم يكن فى الثلاثين سنة التى تلت وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله غير خلافة الراشدين الأربعة ، والأشهر القليلة لخلافة الحسن بن علي بن أبى طالب ، ثم انقلب الحكم بعدها إلى مُلك عضوض . ويحاول النووى تصحيح حديث سمرة ، فيقول :« إن المراد فى

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٤ ص ٢٠٩

(٢) نفسه ؛ ص ٢١٠

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ جـ ١٣ ص ٢٠١

حديث :« الخلافة ثلاثون سنة » خلافة النبوة » . ويؤكد هذا الشرح خبر آخر جاء فيه أن :« خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون مُلكاً » . وأما خلافة الاثنا عشر فلم توصف بأنها خلافة نبوة » .[1] وهكذا يزول التعارض بين حديث الاثنا عشر خليفة وبين الحديثين الآخرين بأن خلافة النبوة ثلاثون سنة ، وبين واقع التاريخ الإسلامى . ومع هذا يظل حديث الاثنا عشر غير مقبول عند أهل السُّنة ، لأنه يسقط خلافة الراشدين الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان ، ويُعَدْ « علي بن أبى طالب » أول الاثنا عشر . هذا فى فهم الإمامية وحدهم !

ويعلق ابن تيمية على حديث سمرة بن جندب فيقول إن الخلفاء هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي – ولا يذكر الحسن بن علي « ثم تولَّى من اجتمع الناس عليه وصار له عِزٌّ ومَنْعة : معاوية وابنه يزيد ، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة ، وبينهم عمر بن عبد العزيز » .[2] **وفى يقينى أن أى مسلم يعرف نظام الإسلام السياسى لا يمكن أن يقبل رأي ابن تيمية هذا . فلم يكن معاوية خليفة بالمعايير الشرعية ، ناهيك عن ابنه يزيد ، بل كان حاكماً غير شرعى ، استلب المنصب بالقوة والخديعة والرشوة ، وقضى على نظام الشورى والبيعة الحرة ، دون أن يجتمع الناس عليه ، وكانت عزته زائفة أساسها الظلم والبطش والقتل ، ولذلك عانت دولته من القلاقل والثورات حتى سقطت سنة ١٣٢ هـ**

● عمل الإمام : حفظ الإسلام

والإمام فى المذهب الاثنا عشرى عالم وفقيه ومرشد ، ولم يمارس السلطة السياسية إلا الإمام علي بن أبى طالب وولده الحسن . وهذا لايعنى أنهم لم يريدوا ممارسة السلطة الزمنية والحكم ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك . وحاول الإمام الحسين رضى الله عنه الاستيلاء على السلطة لكنه لم يستطع . وحاول بعض آل البيت ، فأفلح الفاطميون فى تأسيس دولتهم فى إفريقية ومصر ، لكن أحداً من الأئمة الاثنا عشر لم يترأسها .

---

(١) الموضع نفسه .

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٣ ص ٢٠٦

وعمل الإمام ليس يسيراً . ولذلك يحتاج إلى مواهب وقوى خارقة في نظر الإمامية . **فهو مرشد وعالم وفقيه ، ومسؤوليته حفظ الإسلام ، وإيصال الناس إلى القرب الإلهي»** . وهو مزوَّد بـ «روح القدس» التي تعبر عنها الآيات والروايات العديدة . وأعمال الناس تُعرض على الإمام «في كل يوم وليلة» . والإمام مُشَرِّع للأمة ، يحلل ويحرم – كما جاء في نص أصول الكافي – والإمام يعلم الغيب ! هذا على الرغم من اعتراف الإمام علي رضى الله عنه بأنه أراد ضرب جارية فهربت منه ، فلم يعلم في أي غرفة من الدار اختبأت ![1] ولكي يؤدي الإمام مسؤولياته لا بد أن يكون معصوماً عصمة مطلقة .

وفي الواقع كان الأئمة ، كما تشير أخبارهم ، قادة دينيين ، وأئمة روحيين . وبعضهم كان مرموقاً ، فذاً ، مثل الباقر والصادق ، في المجالات العلمية . وبعضهم كان أنموذجاً للعُبَّاد المخبتين . وكان علي بن أبي طالب طرازاً فريداً وحده ، في علمه وحكمته وشجاعته ، وسمو أخلاقه ، وعدالة حكمه ، رضى الله عنهم جميعاً .

ومن نافلة القول أن أذكر أن **أهل السُّنة يضعون أئمة الشيعة الأحد عشر الموضع الرفيع الجديرين به ، علماً وديناً . لكنهم لا ينسبون إليهم قدرات خارقة كعلم الغيب ، أو العصمة ، أو عرض أعمال العباد عليهم ، وهو الموقف نفسه الذي يتخذه أهل السّنة تجاه قادتهم الدينيين في كل العصور ، باستثناء بعض الصوفية .**

● الإمام الثاني عشر ، المهدي المنتظر ومعجزاته

يقول الشيعة الإمامية إن أبا الحسن علي بن محمد العسكري ، الإمام الحادي عشر في سلسلة أئمتهم اشترى جارية اسمها نرجس ، كانت رومية في سَبْي سَبَاهُ المسلمون ، وكان جَدُّها قيصر ، وأبوها يشوعا بن قيصر الروم . تزوج الإمام

---

(١) راجع جواد الكسار ؛ بحث حول الإمامة ؛ ص ٥٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ٢٥٨ ، ٣٠٩ ، ٣٧٤ .

أبو الحسن تلك الجارية فولدت له المهدى :«المولود الكريم على الله عز وجل ، يحيى الله عز وجل به الأرض بعد مَوْتها».(١)

ويذكر عباس القمى من معجزات المهدى أنه كان يقرأ القرآن وهو جنين فى بطن أمه . وقد وُلدمختونًا ، وقد كُتب على ذراعه الأيمن : ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء:٨١] وقد سجد على وجهه . وكان يطير على جناح طائر ، وهو روح القدس . وقد عاد بعد أربعين يوماً . **وقرأ صحف آدم بالسريانية ، وكتاب إدريس ، وكتاب نوح ، وكتاب هود ، وكتاب صالح ، وصحف إبراهيم ، وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى وفُرقان جدِّه – رسول الله** صلى الله عليه وسلم وآله .

وقد أرسل الله ملكيْن ، فحملاه إلى سرادق العرش حتى وَقَفَا به بين يدى الله عز وجل ، فقال له : مرحباً بك عبدى لنصرة دينى وإظهار أمرى ، ومهدى عبادى ، آليتُ أنى بك آخذ وبك أعطى ، وبك أغفر ، وبك أعذب . ارْدُدَاه أيها الملكان ! رُدَّاه على أبيه ردًّا رقيقًا ، وأبلغاه بأنه فى ضمانى وكنفى ، وبعينى ، إلى أن أُحق به الحق وأزهق به الباطل ، ويكون الدين لى واصباً».(٢)

وللمهدى عند الإمامية ١٨٢ اسماً ، منها : بقية الله ، الحجة ، القائم ، ولي العصر ، ومحمد . وينسب إلى الإمام الباقر قوله إن الآية القرآنية الكريمة ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ** ﴾ [الملك:٣٠] إنها نزلت فى القائم (٣) .

وواضح أن هذا الكلام يتصادم مع قول الله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ [الشورى:٥١] **وبهذا تزيَّف القصة من أولها إلى آخرها ، بما فيها من معجزات لم يَحظ بها النبى** صلى الله عليه وسلم وآله ،

---

(١) عباس القمى ؛ تاريخ الإمام الثانى عشر ؛ ص ١٧

(٢) نفسه ؛ ص ٢١

(٣) نفسه ؛ ص ٢٦ – ٢٧

ولا حظى بها أحد من أولى العزم من الرسل ، وبهذا يشكك فى صحة الكتاب الذى أورد القصة الزائفة .

ومن خصائص المهدى عند الإمامية :«**إحياء الموتى» وحضورهم فى ركابه : سبعة وعشرون رجلاً (من ظهر الكوفة) ، خمسة وعشرون من قوم موسى عليه السلام ... وسبعة من أهل الكهف ، ويوشع بن نون ، وسلمان ، وأبو دجانة الأنصارى ، والمقداد ، ومالك الأشتر** ، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً» .(١)

ونُسب إلى الإمام الصادق قوله : **العلم سبعة وعشرون جزءاً ، فجميع ما جاءت به الرسل جزء ان ، .. فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً فبثها فى الناس ، وضم إليها الجزءين حتى يبثها سبعة وعشرين جزءاً** » .(٢)

ويذكر القمى :« بعضاً من آداب العبودية ورسوم الطاعة لمن خضع لإمام العصر والزمان عليه السلام ، وأدرك أنه من عبيده ، والمتطفل على مائدته وجوده وإحسانه ، واعترف له بالإمامة ، وأنه الواسطة لوصول الفيوضات الإلهية والنعم غير المتناهية – الدنيوية والأخروية – على المخلوقات » .(٣)

ومعنى هذا أن المهدى المنتظر سيأتى بكتاب جديد إضافة إلى القرآن الكريم ، وأنه جدير بالعبودية ! **وهذه المزاعم مرفوضة رفضاً باتاً عند الشيعة الإمامية فضلاً عن أتباع الفرق الأخرى . ولهذا أرفض الأقوال الغالية التى عزاها القمى إلى الأئمة الكبار مثل الإمام الصادق الذى يستحيل أن يقول كلاماً يناقض القرآن .**

● من يكون المهدى ؟

وهذا الإمام المهدى الذى ولد سنة ٢٥٥ هـ هو صاحب السرداب ، يقال إنه دخل سرداباً سنة ٢٦٦ هـ وهو فى حوالي التاسعة من عمره ، ولم يخرج منه إلى اليوم .

---

(١) القمى ؛ تاريخ الإمام الثاني عشر ؛ ٣٥

(٢) نفسه ؛ ص ٣٧ (٣) نفسه ؛ ص ١٤١

ويقول ابن تيمية إمام أهل السُّنة إن ذلك الطفل لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب فى حكم الله الثابت بنص القرآن والسُّنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه فى بدنه ، كأمه وأم أمه ، ونحوهما من أهل الحضانة ، وأن يكون ما له عند من يحفظه . (لأن أباه تُوفى وسِنُّه خمس سنين) . فكيف يكون من يستحق الحجر عليه فى بدنه وما له إماماً لجميع المسلمين ، معصوماً ، لا يكون أحد مؤمناً إلا بالإيمان به ؟ ثم إن هذا (الإمام) باتفاق منهم ، سواء قدِّر وجوده أو عدمه، لا ينتفعون به لافى الدين ولا فى الدنيا ، ولا علَّم أحداً شيئًا ، ولا عُرِفَتْ له صفة من صفات الخير ولا الشر ، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ومصالحها الخاصة ولا العامة ، بل إن قُدِّر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلاً . . »[1]

وتقول فرق شيعية أخرى غير الإمامية **إن المهدى المنتظر هو محمد بن علي ابن أبى طالب – محمد بن الحنفية ، الذى دخل سرداباً بجبل رَضْوى ، واختفى فيه** ، وسيظهر بعد حين . وهو بين أسد ونمر ، يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان من بحار ماء وعسل ، وإنه يعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً . »[2]

ومن الجلي أن هذه الاعتقادات تخص الإمامية وحدهم ، ويستنكرها كثير من أتباع المذاهب الأخرى ، وعلى رأسهم أهل السُّنة . ويدافع الإمامية عن عقائدهم مستندين إلى حديث رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله قال فيه : « **يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى ، اسمه كاسمى ، وكنيته كنيتى ، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً ، وذلك هو المهدى** ». وهذا الحديث صحيح ، ولكن المهدى عند الإمامية اسمه محمد بن الحسن ، فى حين أن المنعوت فى الحديث اسمه محمد بن عبد الله . والمهدى المشار إليه فى الحديث يجب أن ينحدر من صلب الحسن بن علي بن أبى طالب ، بحسب الحديث المروى عن علي رضى الله عنه ، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله نظر إلى الحسن وقال إن

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ ٢ ص ١٣١ – ١٣٢

(٢) د. حمزة النشرتى ؛ يسألونك عن الشيعة ؛ ص ١٦٢

المهدى سيخرج من صلب هذا . هذا فضلاً عن أن كثيراً من طوائف الشيعة وغيرهم يدعون أن المهدى سيكون منهم .(١)

ويؤكد الشيعة الإمامية عقيدة المهدى عندهم بقولهم إنها تشبه عقيدة كثير من شيوخ الدين والزهد : **إلياس والخضر والغوث والقطب ورجال الغيب** . ويجادل ابن تيمية قائلاً إن النبى صلى الله عليه وسلم وآله لم يشرع لأمته التصديق بوجود هؤلاء (الخضر والغوث والقطب) ولا أصحابه كانوا يجعلون ذلك من الدين، ولا أئمة المسلمين. ثم إن الإمام القائم عند الإمامية شخص مجهول لا يُرى له عين ولا أثَر ، ولايُسمع له حِسٌّ ولاخبر ، فلم يحصل لهم من الأمر المقصود بإمامته شيء» . وكيف يكون طفل لم يتوضأ ولم يصل ، وهو لا يزال فى حجر وَلِيِّه، أن يكون إماماً ؟ ذلك هو الحسن بن علي العسكرى الذى دخل السرداب وغاب فيه حتى الآن» .(٢)

ويتطلع الإمامية لليوم السعيد الذى سيرجع فيه المهدى المنتظر فيملأ الأرض عدلاً ، بعد أن مُلئت ظلماً ، وكانوا هم المظلومين والضحايا . فهذا شاعر معاصر يستعجل عودته فيقول :(٣)

يا صاحب الأمر يكفيك السكوت فقد ... حاطت بكل سرايانا أعادينا

ضاق الخناق بنا فى كل ناحية ... فلا ملاذ لنا إلاَّكَ ينجينا

فانهض فكم من حسين غُصَّ فى دمه ... فينا وكم من يزيد فى نوادينا

كم ذا وقوفك والأحداث تنشرنا ... على الرزايا وبالأهوال تطوينا

إلى أن يختم القصيدة بقوله :

عَجِّل فقد جَفَّ منا كلُّ منتهلٍ ... فلا نرى مورداً للحق يروينا

والشاعر هنا مخطئ ، لأن الأئمة حددوا حكام الشيعة فى أثناء الغيبة ، وقال

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية ؛ جـ ٤ ص ٢١١

(٢) نفسه ؛ ص ٢٢ – ٣٠

(٣) محمد جمال الهاشمى ؛ الهاشميات ؛ ص ٢٩٧ – ٢٩٨

الإمام الباقر : « **انظروا إلى من كان منكم قد رَوَى حديثنا ، ونظر فى حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ، فارضوا به حكماً ، فإنى قد جعلته عليكم حاكماً . فإذا حكم بحكمنا فلم يُقبل منه ، فإنما بحكم الله اسْتُخِفَ ، وعلينا رد . والراد علينا رادٌ على الله ، وهو فى حَدِّ الشرك بالله** » .[١] وهذا هو أساس ولاية الفقيه المطبقة حالياً فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

ومن الشيعة طائفة لا تؤمن برجعة المهدى أو ظهوره ، وطائفة أخرى تؤمن بأن الذى سيرجع هو علي بن أبى طالب . وقد كذبهم ابنه الحسن وقال :« كذب أولئك الكذابون ! لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ، ولا قسمنا ميراثه » .[٢]

● خلاف حولُ الرجعة

ويقول الدكتور موسى الموسوى إن أعلام المذهب الإمامى لا يجمعون على الاعتقاد بالرجعة :« الأكثرية الساحقة من الشيعة لا تعرف شيئاً عنها ولا تدرك مغزاها » . [٣] لكن من المؤسف أن الدفاتر التى يقرأها الشيعة فى أثناء زيارتهم لمشاهد أئمتهم تشتمل على عقيدة الرجعة والبَدَاء ، ولا يعترض أحد على ذلك ، فى حين أن بعض الزعامات كان يبدى امتعاضاً أو إنكاراً لفكرة الرجعة والبَدَاء فى مجالسه الخاصة ، ولكنه لم يُبْدِ الرأي فيها علناً » . [٤]

وعقيدة الرجعة تعنى – إذن – أن يعود الإمام المهدى إلى الأرض ويملأها قسطاً ، وبذلك يمهد السبيل لرجعة أجداده ابتداءً من علي بن أبى طالب . وكل واحد منهم سوف يحكم الدنيا فترة ، ثم يتوفى ، ويخلفه ابنه ، حتى ينتهون إلى الحسن العسكرى ، ثم تقوم القيامة : « كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعى فى الخلافة والحكومة التى لم يستطيعوا ممارستها فى حياتهم قبل الرجعة » . [٥] وسوف يرجع إلى الحياة أيضاً أعداء الشيعة لكى ينتقم منهم الأئمة .[٦]

---

(١) القمى ؛ تاريخ الإمام الثانى عشر ؛ ص ١٩٠

(٢) الفتح الربانى (مسند الإمام أحمد) رقم ٢٩٣ جـ ٢٣ ص ١٣٤

(٣) ، (٤) الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٤١

(٥) نفسه ؛ ص ١٤٢ (٦) نفسه ؛ ص ١٤٥

ويقرر الدكتور موسى الموسوى أن **هذا الكلام كذب وافتراء ، ويجب تنقية دفاتر الزيارات من كل العبارات التى تشير إلى الرجعة والانتقام من الخلفاء الراشدين ، لأنها خطأ ، ولأنها تثير غضب أبناء المذاهب الأخرى.**[1]

● لا مهدى عند السنة

والأرجح أن أهل السُّنة لا يؤمنون بالمهدى المنتظر ، وقد درس الدكتور عبد المنعم النمر الأخبار التى وردت عنه فى مصادر أهل السنة ، وزَّيفها ، ثم **انتهى إلى القول :«لا أظن أن هناك عالماً منصفاً للدين وللحق ولنفسه ، يصر على دعوى أنه سيكون لنا مهدى ، وأن ذلك من أمور الدين التى لا يصح لنا إغفالها ، بحجة أن بعض كتب الأحاديث عندنا قد ذَكَرَتْها** . فقد علمنا ما فى هذه الأحاديث من ضعف ، أو وَضْع ، لا يستقيم لمسلم أن يقيم عليها عقيدة من العقائد الغيبية ، وبالتالى لا يسوغ له أن يطالب مسلماً بالإيمان بها ».[2]

أخرج ابن ماجة فى سُنَنه سبعة أحاديث عن « المهدى » . من ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم وآله عن أم سلمة قالت :« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول : « المهدى من ولد فاطمة ».[3] وعن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة ».[4]

وأورد ابن الجوزى عدداً من الأحاديث عن خروج المهدى ، ثم علق عليها بقوله إن أغلبها غير صحيح ، وبعضها لا بأس به ، وبعضها صحيح ، وهو الحديث القائل : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتى ، يواطئ اسمه اسمى ».[5] وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قال : « أبشركم بالمهدى ، يبعث فى أمتى على اختلاف من الناس ، وزلازل ، فيملأ

---

(١) الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٤٥

(٢) د . النمر ؛ الشيعة ، المهدى ؛ ص ٢٠٤

(٣) رقم ٤٠٨٦ جـ ٢ ص ١٣٦٨ (٤) نفسه ؛ رقم ٤٠٨٥ جـ ٢ ص ١٣٦٧

(٥) العلل المتناهية ؛ رقم ١٤٣٥ جـ ٢ ص ٣٧٤

الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً». [1] فى حديث طويل . وعن أبى سعيد أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله قال : «يكون فى أمتى المهدي ، إن قصُر فَسَبْعٌ ، وإلا فتسع ، فتنعم فيه أمتى نعمة لم ينعموا مثلها قط . تؤتى أُكُلَها ، ولا تدخر منهم شيئا . والمال يومئذ كَدُوس ، فيقول الرجل : يا مهدي أعطنى ! فيقول : خذ ! ». [2]

لكن تأمل هذه الأحاديث لا يَستخرجُ منها فكرة المهدى المنتظر كما هى لدى الشيعة وبالأوصاف والمعجزات والخوارق التى نَسبوها إليه . والباحث الموضوعى لا بد أن يُرجح ضعفها بحيث لا يمكن أن تبنى عليها عقيدة إسلامية . وقد يرى فيها البعض بُشرى خير للأمة بأن مصيرها إلى حاكم راشد صالح يملأ الأرض عدلاً ، يضع حدًّا للمظالم التى حاقت بالمسلمين .

● المسيح عيسى ابن مريم والمسيح الدجال

والتراث الإسلامى عامر بكثير من الروايات عن نزول المسيح ابن مريم عليه السلام ، والمسيح الدجال . فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : «والذى نفسى بيده لَيُوشكَنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم ﷺ ، حَكَماً مُقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ». [3] وعن جابر بن عبد الله قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وآله يقول : «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» قال : «فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال ! صلِّ بنا ! فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة». [4]

● المسيح الدجال

وتروَى أخبار عديدة عن المسيح الدجال لدى أهل السُّنة . من ذلك ما أخرجه

---

(١) مسند أحمد (الفتح الربانى) رقم ١٤٤ جـ ٢٤ ص ٥٠

(٢) سنن ابن ماجة ؛ كتاب الفتن ؛ رقم ٤٠٨٣ جـ ٢ ص ١٣٦٦

(٣) أخرجه مسلم ؛ جـ ٢ ص ١٨٩ – وأورده الطبرى فى تفسيره للآية رقم ٥٥ من سورة آل عمران – رقم ٧١٤٤ ، وأعاده برقم ١٠٨٣

(٤) ابن حزم ؛ المحلى ؛ جـ ١ ص ٩

الإمام مسلم فى صحيحه – فى كتاب الفتن – من قوله صلى الله عليه وسلم وآله : « لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون دجالاً كلهم يزعم أنه رسول الله ».(١) « وأعظم الدجاجلة فتنة الدجال الكبير الذى يقتله عيسى ابن مريم ».(٢)

وتثير مسألة الدجال أسئلة كثيرة . فقال الإمام القرطبى :« اختلف فى تسميته دجالاً على عشرة أقوال . ومما يحتاج إليه فى أمر الدجال : أصله ، وهل هو ابن صياد أو غيره ؟ وعلى الثانى : فهل كان موجوداً فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أو لا ؟ ومتى يخرج ؟ وما سبب خروجه ؟ ومن أين يخرج ؟ وما صفته ؟ وما الذى يدَّعيه؟ وما الذى يظهر عند خروجه من الخوارق حتى تكثر أتباعه ؟ ومتى يهلك ؟ ومن يقتله ؟ »(٣)

وترد الإجابات عن هذه الأسئلة فى مصادر أهل السنة . فيصف ابن حزم الدجال بأنه :« كافر، أعور، ممخرق (أى مموه)، ذو حيل ». ويستند فى هذا إلى حديث عن أنس قال فيه :« قال رسول الله ﷺ : « ما من نبى إلاّ وقد أنذر أمته الأعور الكذاب! ألاَ إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور! مكتوب بين عينيه : ك ف ر ».(٤)

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ... وحتى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله » .(٥)

وفى صحيح مسلم أن شاباً اسمه « **صاف بن صياد** » ، عاش فى بلاد الحجاز فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، قيل إنه الدجال ، وقيل إن ابن عمر رضى

---

(١) صحيح مسلم ؛ جـ٨ ص ١٨٩

(٢) ابن تيمية ؛ جامع الرسائل ؛ المجموعة الأولى ؛ ١٩٧

(٣) نقلاً عن فتح البارى ؛ كتاب الفتن ؛ ٧١٣١ – جـ١٣ – ص ٩١

(٤) المحلى ؛ المسألة رقم ٨٩ – جـ ١ ص ٤٩ وأخرجه البخارى ؛ كتاب الفتن ؛ رقم ٧١٣١ – جـ١٣ ص ٩١

(٥) فتح البارى ؛ كتاب الفتن – ٢٥ باب – رقم ٧١٢٥ – جـ١٣ ص ٨١

الله عنهما كان يقول :« والله ما أشك أن ابن صياد هو المسيح الدجال! »[1] ويقول النووى إن قصة ابن صياد مشكلة ، وأمره مشتبه فى أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ؟ ولا شك أنه دجال من الدجاجلة » . وكان ابن صياد يهودياً ، يشتغل بالكهانة ، ولم يقتله النبى لأنه احترم المعاهدة التى عقدها مع اليهود.[2]

وفى اعتقادى أن هذه الأخبار يمكن أن تفهم على نحو يزيل عنها السِّمة الأسطورية . **فالدجاجلة كثيرون ، منهم ابن صياد ، ومنهم فرويد وماركس ، وأعداد من القادة والزعماء والسياسين الذين يزعمون أنهم مصلحون وهم أفسد الفاسدين** ! وهذا الفكر المادى الذى لا يبالى بالدين ، هو الأعور الدجال الذى يجب القضاء عليه . **وكل مصلح صحيح الإيمان ملتزم بدين الله القويم هو المسيح الحق الذى يجب على كل مسلم تأييده ونصرته . وبذلك نتخذ من القصة وقوداً لقاطرة النهضة الإسلامية .**

ومن الممكن أن نفهم أخبار الدجال العديدة والمتضاربة حرفياً ، فننتظر ظهور ذلك الأعور الكافر الكذاب ، وننتظر المسيح الذى سيقتله عند باب « اللُّد » القرية المعروفة فى فلسطين !

وصفوة القول إذن إن التراث السُّنى عامر بأخبار كثيرة عن المهدى المنتظر « السُّنى » ، وعن نزول المسيح عليه السلام ، وعن الدجاجلة الكفار ، الذين سيحاولون فتنة الأمة وإخراجها من دينها ، إلى أن ينزل المسيح الحق ويقتل المسيح الدجال لكى تنعم الأمة بما لم تنعم به من قبل ! **وعلى الرغم من ذلك لا يعتبر الإيمان بالمهدى المنتظر من العقائد الواجب على السُّنى الإيمان بها .**

---

(١) صحيح مسلم ؛ جـ ١٨ ص ٤٦ – ٥٧ والفتح الربانى ؛ رقم ١٧٠ جـ ٢٤ ص ٦١

(٢) صحيح مسلم ؛ الشرح ؛ جـ ١٨ ص ٤٦ – ٤٨